كلمات في التربية المنزلية

شاع في هذه الايام ذكر التربية المنزلية وطالما قرأت سيداتنا الفصول المطولة يمتدح فيها الكاتبون مكانة التربية المنزلية ويعلون من شأنها . ولم تكن كتاباتهم الاَّ قاصرة على وصف امور نظرية مبهمة يصعب عليهنَّ استخدامها استخداماً عملياً في دائرة ملكهنَّ . ولذا فلا بد من انهنَّ كنَّ يقفنَ لقاء هذه الابحاث النظرية مبهوتات وقوف الانسان في ملعب روسي تمثل فيهِ رواية من ابدع الروايات فيطرب لالحانها ويعجب بمناظرها بغير ان يدرك شيئاً من روحها وتعاليمها . كل هذا لخلو تلك الابحاث من الارشادات العملية التي تهافت عليها السيدات بالاشتياق الشديد اذ اردن ان يعرفنَ حقيقة القصد مما يسمونهُ بالتربية المنزلية . وهل يراد منها ان تدير الأم لبنيها مدرسة من منزلها تعلمهم فيها التاريخ والجغرافيا ام تجعل لهم منهُ كنيسة او مسجداً حيث تقضي الوقت في اسماعهم الفروض الدينية والادبية من محبة الله الى ايواء الضيف والاشفاق على المسكين وهم امامها مكتفو الايدي مصغون بكلياتهم . فتلبية لهذه الرغبة الشريفة التي بلغت اشدها عند الكثير من السيدات رأيت ان آتي بعجالة في هذا الموضوع الخطير لعلها تكون كافية للمرام وعلى قدر الحاجة ولو اني لا ارعى استيعاب الموضوع بحال من الاحوال

فن التربية فن قديم خاض فيهِ اليونان والعرب فعرَّفوه ووضعوا اصوله وتبعهم في ذلك المحدثون من اوروبا فقرروا مبادئه والغرض منه

وقد وقع الخلاف بين كثير من علمائهم في الغرض الاقصى من هذا الفن والطرق المؤدية اليهِ . واشهر من عولت اوروبا على مبادئهم في نظامات التعليم بها سقراط وبستالوتزي وهربارت وريشتر وروسو وسبنسر ومن حذا حذوهم . وعلى هؤلاء عمدتنا في هذا البحث لاسيما الاخير منهم فسنأتي للقراء بآرائهِ بغير تصرف كبير من عندياتنا خصوصاً في التربية الادبية

ومن التعاريف السديدة التي وضعت لهذا الفن يمكننا ان نستخلص ان الغرض الاقصى منهُ المجمع عليهِ من كافة المشتغلين بهِ هو ان نجعل الطفل عضواً حياً نافعاً في الوجود على احسن أهبة لصيانة نفسهِ وجلب رزقهِ وتربية نسله وفهم امور بلاده الاجتماعيـة والسياسية والمقدرة على صرف وقت فراغهِ في التمتع بمسرات الحياة الراقية وجمال الطبيعة

والعوامل المؤثرة في تربية كل فرد منا عديدة اهمهـا الوراثة العائلية والتربية المنزلية والوسط . وسنقصر الكلام هنا على التربية المنزلية وهي وظيفة الأم المفروض عليها وحدها اداؤها في كل لحظة يقضيهـا الطفل بالبيت سواء كان ذلك قبل التحاقهِ بالمدرسة او بعده . والذي دلت عليهِ التجارب ان السنين الاولى من سني الطفل انما هي عنوان لما يكون عليهِ من الصفات في مستقبل الحياة . والأم اذا تراخت في تقويم خلق الطفل من نعومة اظفاره يبس غصنهُ وشاخ وهو على اعوجاجهِ اذا اريد اصلاحه انكسر . فالطفل السليط على خدمهِ يشب ونراه غليظ المعاملة لمرؤوسيهِ ايضاً والولد الذي يجور على اختهِ في صغره ويأكل نصيبها من الحلوى نراه في كبره ينازع اخوتهُ ويقاتلهم على ميراث خلفهُ لهم والده .

ومما يحكى من امثال هذا ان (نيرون) طاغية الرومان العظيم كان في صغره كلفاً بامساك الذباب والبعوض بيديهِ ليمزق اجنحتها وارجلها وهو يضحك مسروراً . فلما ملك على رومية ودانت له الرقاب راق له ان يأمر بحرق المدينة ليرى كيف يكون منظرها اذا اطل عليها من قمة احد الجبال العالية

ولما كان صغار الاطفال ميالين بطبعهم الى الحركة الدائمة ثبت ان التعجيل بارسالهم الى المدرسة وجبرهم على طول الاقامة في المكاتب لا يبدون حراكاً ظلم وقسوة . وقد قرروا ان افضل زمن لارسال الطفل الى المدرسة هو ما بين الخامسة والسابعة من العمر . لكن الخمس سنين الاولى او اكثر من عمر الطفل في الحقيقة وقت طويل من العبث مرورها من حياتهِ بغير فائدة يستفيدها في قواه العقلية بجانب الفائدة الجسدية . وقد اتفق الافرنج على ما يسمونهُ (بالكندرجارتن) او بستان الاطفال يرسلون اليهِ اولادهم وهم في الخامسة او دونها حيث يقضون وقتهم في العاب متنوعة كل منها يُرمى بهِ الى غرض مخصوص من تنمية مدارك الاطفال . فظهرت نتيجة ذلك بأتم وضوح فيما اكتسبهُ الاولاد من الصحة في جميع قواهم الجسمية والعقلية . لكن بما ان بلادنا لسوء الحظ تكاد تكون خلواً من امثال هذه البساتين الجميلة فما احرى كل أم عندنا بان تقيم لاطفالها بستاناً في بيتها ليجنوا منهُ شبه ما يجني اولاد الافرنج من بساتينهم

(يتبع)